الترادف:

هو تعدد اللفظ للمعنى الواحد، وهذه الألفاظ يمكن أن تتبادل فيما بينها في أي سياق، والترادف موجود في معظم لغات العالم، واللغة العربية بما أتيح لها من الظروف والعوامل ما وسَّع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، انطوت من هذا كله على محصول لغوي لا نظير له في لغات العالم(١).

إن أهم ما تتماز به العربية أنها أوسع أخواتها الجزرية، في أصول الكلمات والمفردات،فهي تشمل على جميع أصول أخواتها الجزرية أو على معظمها، وتزيد عليها أصول كثيرة، وتجمع من المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال (٢).

واختلف موقف العلماء القدماء في وقوع الترادف في اللغة العربية، بين (المبالغة، والإنكار، والإثبات له). والفريق المبالغ فيه جمع تلك الألفاظ ، وحشد بينها طائفة كبيرة، لاتمت إلى المترادف الحقيقي بصلة، وكان الفخر في حفظ الشخص للعدد الكبير من الأسماء(٣) ، ويُروى أن هارون الرشيد سأل الأصمعي عن ((شعر لابن حزام العُكليّ،ففسّره فقال: يا أصمعي، إن الغريب عندك لغيرُ غريب. قال يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت سبعين اسما للحَجَر)) (٤) ، وجمع للأسد خمسمائة اسم،وللثعبان مائتا اسم،وللعسل أكثر من ثمانين اسما، وغير ذلك.

وأدت مبالغة هؤلاء إلى ظهور طائفة من العلماء، ترفض ظاهرة الترادف في العربية، وذكر السيوطي في المزهر حجج المنكرين له، الذين عزوا وجود الكلمات المتحدة المعنى إلى أمرين: **الأول**: الفروق اللغوية،كما في لفظتي الإنسان والبشر ؛فاللفظة الأولى باعتبار النسيان، أو أنه يُؤْنِس، واللفظة الثانية باعتبار أنه بادي البشرة[١] ، ومن هؤلاء محمد بن زياد الأعرابي (٢٣١هـ) وثعلب وابن درستويه وأبو علي الفارسي وابن فارس وغيرهم[٢]، **والثاني**: يجعلون تلك الكلمات من الصفات،كما قال أبو علي الفارسي: ((كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسما،فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحدا،وهو السيف. قال ابن خالويه:فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟فقال أبو علي: هذه صفات؛وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة))[٣] .

وكان هذا منهج ابن فارس كذلك ((والذي نقوله في هذا إن الاسم واحد وهو السيف،وما بعده من الألقاب صفات،ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غيرُ معنى الأخرى))[٤]، وقد فرق ابن فارس مع شيخه ثعلب بين الأفعال فضلا عن الأسماء،نحو مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع[٥] .

والصورة الزمنية لقضية الترادف، أن العلماء في القرن الثاني الهجري كانوا يسلمون بها،ولكن في أواخر القرن الثالث بدأوا يلتمسون فروقا بين الكلمات، ولا تخلو تلك الفروق من التكلف والتعسف في بعض الأحيان،ثم جاء القرن الرابع الهجري فنشب الجدل بين العلماء فيه، وكثر بعد هذا العصر أنصار الترادف،ومال بعضهم إلى الاعتدال في حصر الكلمات المترادفة، ومن هؤلاء الأصفهاني(٥٠٢هـ) والرازي (٦٠٦هـ) فاشترط الثاني في وقوعه عدم التباين في المعنى وعدم الإتباع،نحو السيف والصارم؛ لان الكلمة الثانية زيادة في المعنى،وليس منه (عطشان نطشان) فلا معنى للكلمة الثانية[١].

واحتج المثبتون للترادف أن الاستعمال اللغوي يؤيدهم، فمثلا (لا ريب) يطابق معنى (لا شك) و(البعد) هو(النّأْي)[٢]، ويسوقون قصة تكاد تجمع كتب الأدب عليها، هي أن رجلا من بني كلاب خرج إلى ذي جَدَن من ملوك اليمن فألفاه في متَصَيَّد له على جبل مُشْرِف، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك (ثب)، أي اجلس، وظن الرجل انه أمره بالوثوب من الجبل، فقال لتجدني أيها الملك مِطواعا، ثم وثب من الجبل فهلك،فقال الملك : ما شأنه؟ فقالوا له إن الوثوب في كلامهم النزول إلى الأسفل، فقال الملك ليست عربيتنا كعربيتهم ، من دخل ظَفَار حَمّر، أي عليه أن يتكلم بلهجة حمير[٣] . وهذا لا ينتمي إلى الترادف ؛ لأن البيئتين

مختلفتان، واشـــترط الأصـــفهاني الاتحاد في البيئة الواحدة[١] والمحدثون كذلك.

والأصـــل في كل لغة أن يوضـــع اللفظ الواحد لمعنى واحد، ولكن ظروفا تنشـــأ في اللغة، تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو العكس تعدد المعاني للفظ الواحد[٢]، فمن أسباب حدوث الترادف[٣] هي:

١- اللهجات: تطلق كل لهجة اسماً على مدلول معين، وبعد احتكاك اللهجات بعضها ببعض،ونشأة اللغة العربية المشتركة، أدّى إلى تمسك اللغة المشتركة ،بعدد من تلك الألفاظ التي تدل على المسمى الواحد في اللهجات المختلفة . مثال ذلك البطيخ في مصر، هو الرقي في العراق، والدِّلّاح في ليبيا، والحَبْحَب في السعودية، أو الخُرْدة في العراق، والفكة في مصر، والفرافير في لبنان، والفراطة في سوريا والأردن ، والرِقاق في ليبيا ،والصرافة في السعودية .

٢- أن يكون للشـيء الواحد في الأصـل اسم واحد، ثم يوصـف بصـفات مختلفة، باختلاف خصائص ذلك الشيء، وإذا بتلك الصفات تستخدم في يوم ما، وينسـى ما فيها من الوصـف، مثال ذلك أسماء السيف المختلفة، هي في الأصل صفات له كالصارم، والباتر، والقاضب، والصقيل، وغير ذلك.

٣- جامعو المعاجم لشدة حرصـهم على تسـجيل كل شـيء، دونوا كلمات كثيرة مهجورة في الاسـتعمال ومسـتبدلا لها مفردات أُخر ،فكثرت بسـبب

ذلك مفردات اللغة ومترادفاتها في المعاجم، أو يسجلون التسميات الشعرية على أنها كلمات خاصة، فبعض الشعراء يسمي الأسد بالكاسر وآخر يسميه بالساحق، وغير ذلك؛ والمعجم العربي يأخذ هذه التسميات على أنها ترادف كلمة الأسد تماما.

٤- التطور الذي يحدث في أصوات الكلمة؛ فتنشأ صور أُخر للكلمة على ألسنة الناس، فيعدها اللغويون مترادفات لمسمى واحد نحو (الحثالة والحفالة والحذالة والحسالة والحصالة) للرديء من الشيء، والصقر والسقر والزقر.

٥- الاستعارة من اللغات الأجنبية، التي كانت تجاور العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، كالألفاظ المستعارة من اللغة الفارسية وغيرها كالدِّمَقْس والإستبرق للحرير، والبَخْت للحظ، والجُلّ للورد، واليمّ للبحر وغير ذلك.

وأجمع المحدثون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر .ولكنهم يشترطون شروطا معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً، وهي[1]:

١- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً، فإذا تبين أن العربي كان يفهم من كلمة (جلس) شيئاً لا يستفيده من كلمة (قعد) ، فحينئذٍ نحكم بانعدام الترادف بين الكلمتين.

٢- الاتحاد في البيئة اللغوية، فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للمتكلم الواحد في البيئة الواحدة، الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر بمعنى واحد. يختار هذه الكلمة حيناً ، ويختار تلك الكلمة حيناً آخر،

وفي كلتا الحالين لا يكاد يشـــعر المتكلم بفرق بينهما. ولكن الخطأ الذي وقع فيــه المغــالون في الترادف أنهم عــدوا الجزيرة العربيــة بيئــة واحدة،واللهجات وحدة متماسكة. والصحيح أن نعد اللغة النموذجية الأدبية بيئة واحدة،وكل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة.

٣- الاتحـاد في العصـــر: المحـدثون حين ينظرون إلى المترادفـات، ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، فإذا بحثنا عن الترادف، يجب ألا نلتمســه في شــعر شــاعر جاهلي، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم،يرجع إلى العهود المسيحية مثلا.

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صــوتي للفظ الآخر، فحين نقارن بين (الجَثْل) و(الجَفْل) بمعنى (النمل) ،نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعد أصــلاً والأخرى تطور لها، فنحكم على أن الكلمة الأولى (الجثل) هي أصل ونشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحاً في الســمع، والكلمة الثانية (الجفل) صــيغة حضــرية نشــأت في بيئة تراعي خفوت الصـــوت والتقليل من وضـــوحه وهي تطور للكلمة الأولى.وفي الحقيقة أنهما كلمة واحدة.